فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ١٠ —

انكم ترون على طرف ردآئي هذا قطعة من الحرير الملون وهي علامة وسام الشرف الذي نلتهُ . اما الوسام نفسهُ فمحفوظ في حقيبة من الجلد في منزلي لا اخرجهُ منها الا اذا زارني احد الضباط القدمآء او الغربآء الذين يأتون لتقديم احترامهم وتوقيرهم لجيرار الشهير ففي ذلك الحين اخرجهُ من مخبإه وأضعهُ على صدري ثم ارفع شاربيَّ كما كنت افعل في معركة مارنغو فيصل طرفاهما الابيضان الى صدغيَّ . غير انني مع كل ذلك اعتقد ان لا أولئك الزوار ولا انتم ايها الاصحاب تتحققون الحالة التي كنت فيها اذ ذاك لانكم لا تعرفونني الا بحالتي المدنية الحاضرة ويصعب عليكم جدًّا ان تتصوروني في الحالة العسكرية التي وقفت فيها في اول شهر يوليو سنة ١٨١٠ امام فندق مدينة آلامو في اسبانيا حين كنت في ابان مجدي لا يقف في وجهي خطر ولا يعترض طريقي بطل

اما سبب وجودي في ذلك الفندق فهو انني أُصبت في احدى تلك المعارك بطعنة رمح في عقب رجلي منعتني عن المسير وأجبرت على المقام هنالك الى ان اشفى . فقضيت اياماً في الآلام الجسدية والعقلية الى ان بزغ صباح يومٍ من ايام شهر يوليو فوجدت في نفسي قوةً فنهضت من سريري واتيت الى باب الفندق وانا لا اكاد اصدق انني تعافيت فسمعت ان فرقتي قد بلغت بستورس وهي بازآء الجيوش البريطانية . فدفعتني الحماسة الى اللحاق برجالي غير ان الضربة التي آذت رجلي كانت

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

قد اودت بحياة جوادي ايضاً ولدى السؤال اعلمني صاحب الفندق انهُ يستحيل وجود ركوبة تنقلني الى بستورس . وكان في الفندق قسيس من المسافرين فاكد لي باقسام متتابعة انني لو دفعت اموال فرنسا باسرها لما تمكنت من واسطة تنقلني الى فرقتي في تلك الليلة . واردف صاحب الفندق كلامهُ بقولهِ ان البراري الواقعة بيننا و بين فرقتي يكمن فيها الكوشيلو اللص الاسبانيولي الشهير برجالهِ فلا ينجو احد اذا ساقهُ سوء البخت لاجتياز تلك الطريق . اما انا فلم تهمني كل تلك المخاوف وكانت غايتي الوحيدة ان اجد جواداً يقلني الى بستورس مهما كلفني ذلك . وانني لكذلك واذا بفارس قد قدم حتى بلغ باب الفندق فوقف بفرسهِ فحييتهُ وعرَّفتهُ انني الكولونيل جيرار وان جرح رجلي قد حكم عليَّ بالتلبث في ذلك المكان . فنظر اليَّ متبسماً وقال وانا المسيو ڤيدال وذكر لي انهُ يقصد بستورس ايضاً ويتمنى لو تمكنت من مرافقتهِ لانهُ بلغهُ ان الطريق غير امينة . فقلت لهُ انني لسوء الحظ قد فقدت جوادي وعرضت عليهِ ان يبيعني جوادهُ اصل بهِ الى بستورس واني حال وصولي ارسل اليهِ بعض الجنود يرافقونهُ حتى يبلغوهُ مأمنهُ فأبى . ولما رآني اهمّ بالوثوب عليهِ لآخذ الجواد منهُ قهراً أعمل في خاصرتي جوادهِ المهماز وغاب عني في سحابة من الغبار . فقال لي القسيس اذا كان غرضك الوصول الى بستورس فلن ترى مساعداً لك سواي لانني انا ايضاً راحل الي الجهة الجنوبية . فشكرتهُ على ذلك شكراً جزيلاً وللحال نهض فسار امامي الى القرية وانا اتبعهُ فبلغنا نزلاً رأينا أمام بابهِ عربةً محطمة والى جانبها ثلاثة بغال مهزولة . فاستدعينا صاحب النزل وطلبنا منهُ ان يشد البغال الى العربة وينقلنا الى بستورس فأبى خوفاً من الكوشيلو مؤكداً لنا اننا نصبح جميعاً فريسة لذلك الغادر اذا صممنا على السفر في تلك الليلة . ولم اكن ليثنيني عن عزمي مثل هذا الوعيد فجعلت أتوسل اليهِ وأعدهُ بالعطآء الوافر اذا امتثل والقسيس يتهددهُ بالهلاك والحرمان اذا أبى حتى قبل الرجل واسرع في العمل قائلاً اذا لم يكن بدٌّ من ذلك فيجب ان نجتاز الغابة المخيفة قبل حلول الظلام . وعدنا الى الفندق لاخذ أمتعتنا ولتوديع ابنة صاحبهِ التي كنت قد احييتها فلما قبّلتها

رأيت علامة الاشمئزاز على وجه القسيس غير انهُ ما ابتدأنا في سفرنا حتى ابرقت اسرتهُ وجعل يحادثني فقال انهُ قادم من شمالي اسبانيا وذاهب لزيارة والدتهِ في استرامادورا ثم جعل يقص عليَّ محبتهُ لها وكم يكون سرورها بلقياهُ بعد غيابهِ الطويل حتى ذكرني بوالدتي وأسال دموعي . وكان يريني الهدايا الصغيرة التي اخذها ليوزعها على الاولاد الذين سيأتون لمقابلتهِ . ثم انتقل بحديثهِ الى سير الجنود وملابسهم فجعل يفحص ثوبي وسيفي فامتشقهُ وأخذت انا أقص عليهِ ما فعلت بذلك الحسام وكم روَّيتهُ بالدمآء . فاكفهرَّ وجههُ وقال ان هذا الحديث يؤلمني حتى ان منظر سيفك يزعجني فاسمح لي آن احجبهُ عن نظري ولما قال ذلك اخفاهُ تحت مقعد العربة . وبعد قليل قرع آذاننا صوت دويّ المدافع فعلمت انها من جنود مسينا الذي كان يحاصر رودريكو وكنت احب مسينا لشجاعتهِ مع انهُ اسرائيلي واعتقد انهُ لم يقم في الاسرائيليين قائدٌ بعد يشوع بن نون مثلهُ فلم اتمالك ان صحت باعلى صوتي ليحيَ مسينا وجعلت اتغنى بالاناشيد الحماسية كانني من تلامذة مدرسة سانت سير . وكانت المركبة تخترق بنا الشعاب الصعبة والممرات الضيقة المقفرة وكان القسيس في اثنآء ذلك قد اخرج من جيبهِ مثقباً وجعل يعالج بهِ الرباط الجلدي المعلقة بهِ قربة المآء. فلما ساد السكوت انطرحت الى جانب العربة وسارت بي افكاري الى المعارك التي خضت غمارها والسيدات اللواتي عرفتهنَّ واذا بالقربة قد سقطت من يد القسيس الى اسفل العربة واندفق المآء منها . فاسرعت وانحنيت لالتقاطها فلم يكن من القسيس الا ان اغتنم تلك الفرصة وفي اسرع من لمح البصر وثب على ظهري وغرز المثقب في عيني

لا أخالكم تجهلون ايها الاصدقآء انني رجلٌ من حديد وقد خلقت لاقتحام الاخطار وانني منذ دخلت الخدمة في زوريخ الى ان بلغت معركة واترلو لم أعرف للخوف معنًى ولا للخطر اسماً ولكنني لا انكر ان ما حصل لي حينئذٍ أطار رشدي وهلع قلبي . وأعارني الالم قوة غريبة فأمسكت ذلك اللعين بيديّ ورفعتهُ وضربت بهِ ارض المركبة ثم جثوت على صدرهِ فأخذ من تحت ردآئهِ غدارة فرفستها برجلي

فطارت من يدهِ ورفعت المقعد لآخذ سيفي واسمّرهُ بهِ الى الخشب واذا بالمركبة قد مالت الى جانبها فسقطت بنا وفُتح بابها فشعرت بأيدٍ حديدية قد أمسكت قدميَّ وجرتني الى الخارج . وسقطت قبعتي على عيني السليمة فغطتهـا و بقيت الاخرى فسررت جدًّا لانني رأيت بها كل شيء بوضوح وعلمت انني لم أفقد بصري لان الثقب كان قد دخل كما ترون اثرهُ بين الحدقة وعظم الانف . وكان الخبيث قد صمم ان يدخلهُ في عيني الى الدماغ فسآء فألهُ ولكنهُ تمكن من أذيتي بهذا الجرح الذي آلمني اكثر من كل الجراح الخطرة التي أصابتني في حياتي . قلت انني رأيت فهل تعلمون ماذا رأيت . ثلاثين رجلاً من زمرة الكوشيلو وجميعهم مدججون بالسلاح وعلى وجوههم لوائح السرور لحصولهم عليَّ . فلما صرت امامهم جعلوا يرفسوني ويلكموني و يشتموني أما أنا فبقيت صامتاً انظر الى وجوههم الشرسة واحفظ هيئاتهم في ذاكرتي فظنوني ميتاً . وعلمت انهم كانوا ينتظروني وان القسيس لم يكن الاّ رسولهم وانهم وضعوا في طريق المركبة صخراً كبيراً ليعثرها فتسقط وكان القسيس يعلم المكان الذي تواعدوا اليهِ ففعل ما فعل . وأخرجهُ بعضهم من المركبة فوجدت انني لم اقصر في جزآئهِ لانني لما جلدت بهِ الارض كنت على ما يظهر قد كسرت شيئاً في سلسلتهِ الفقارية فلم يعد يستطيع القيام . ولما رأيت ساقيهِ متدليتين وهو محمول بين اثنين من أولئك اللصوص لم أتمالك عن الضحك فانتبهوا اليَّ وأنهضوني وساقوني امامهم الى قمة الجبل وكانوا يتبعوني جميعهم والقسيس المحمول على اكتاف رفاقهِ لا يكل عن الشتم والسب . ولم نزل في سيرنا نحو ساعة وأنا متألم من جرح عيني ورجلي التي لم تكن قد شفيت تماماً بعد . و بلغنا غابة كثيفة دخلناها فوصلنا الى بقعةٍ جرداآء في وسطها رأيت فيها جواداً مربوطاً الى شجرةٍ فعرفتهُ للحال انهُ جواد ڤيدال الذي فرَّ مني في الفندق وعلمت ان صاحبهُ قدسقط في أيدي أولئك الانذال وأن فرنسويًّا آخر في ذلك الخطر نظيري . ثم رأيت شرذمة أخرى من أولئك اللصوص القتلة قد خرجت من بين الاشجار فقابلتنا ولما رأوا القسيس وما وقع لهُ أبدوا أسفهم الشديد وجعلوا يلاطفونهُ ويجاملونهُ ثم نظروا

اليَّ وقد استلوا خناجرهم فعلمت أن آخرتي قد دنت . وبعد أن مشينا قليلاً وصلنا الى مغارةٍ على بابها مشعلٌ متقد وفي صدرها رجل قبيح المنظر شرس الهيئة عرفتهُ من احترام القوم لهُ انهُ رئيسهم الشهير الكوشيلو. وأجلسوا القسيس على برميل فارغ فتدلت ساقاهُ وهو ينظر اليَّ بعينين يتقد فيهما السم ثم دار بينهُ وبين الرئيس حديث علمت منهُ ان القسيس عميل لهم ينصب الاشراك بلسانهِ الذلق فندمت لانني لم أجهز عليهِ وأخلص الناس من شرهِ . اما الرئيس فلم يكن عليهِ شيء من السلاح وكانت أمامهُ مائدة عليها بعض الكتب وكثير من الاوراق المبعثرة . ولما دخلنا كان يكتب فتوقف ريثما سمع تفاصيل الحادثة ثم أمر الجميع بالخروج ونقل القسيس للمعالجة فبقيت وحدي امامهُ واثنان يحرسانني عن جانبيَّ . واذ ذاك أخذ الرئيس قلمهُ وجعل ينقر بهِ على جبهتهِ ثم ينظر الى جدران المغارة فعلمت انهُ ينظم شعراً . ثم نظر اليَّ وقال هل تعرف قافيةً توافق لفظة « كوڤيلها » فتبسمت وقلت كلا ولا أظنك تجدها لان اللغة الاسبانيولية ضيقة جدًّا . فقال لا تقل ذلك فانها من اللغات الواسعة غير انها فقيرة في الكلمات التي تصلح للقوافي ولذلك نضطر ان ننظم اشعارنا غير مقفاة . ثم عاد الى الكتابة ورأيت في وجههِ علامة الرضى فرمى بالقلم وقرأ ما كتبهُ على حارسيَّ فسرَّا جدًّا ثم قال لي انني انظم أغاني نترنم بها في لياليا للتسلية . والآن فلنعد الى عملنا فهل لك ان تعرّفني بنفسك . قلت أنا اتيان جيرار كولونيل في فرقة الهوسار الثالثة . قال ولكنك اصغر سنًّا من أن ترقى الى هذه الرتبة . قلت اني قد نلتها بجدي بعد ما اقتحمتهُ من الاخطار . ولما قلت ذلك نصبت قامتي امامهُ لاريهُ اني لا اهاب الموت ولا يهمني انفرادي بين جمهورهم . اما هو فصمت لحظة ثم قال يغلب على ظني اننا رأينا بعض رجال فرقتكم قبل الآن وبما اننا ندون جميع ما يقع لنا فيمكنني ان اذكر لك بعضهم . ثم تناول كتاباً فتحهُ وقال في الرابع والعشرين من شهر يونيو اتانا ضابطٌ من فرقتكم يدعى سوبيرون فدفنّاهُ . قلت انني اعرف هذا المسكين جيداً فما هو سبب موتهِ . قال قلت لك اننا دفناهُ . قلت فهمت ذلك ولكن كيف مات قبل ان تدفنوهُ. فقهقه حتى بانت

نواجذهُ وقال ألم اقل لك اننا دفناهُ فانهُ لم يمت قبل ذلك بل بقي حيًّا الى ان دُفن فلما غطاهُ التراب على عمق ثلاثة امتار لا بد ان يكون قد مات بعد ذلك . فعلمت اذ ذاك انهم دفنوهُ حيًّا وشعرت بارتعاشٍ في جسمي ثم صعد الدم في رأسي فوثبت اليهِ وقد صممت ان امزق وجههُ باظفاري فامسكني الحارسان وجاهدت معهما مدةً فتغلبا عليَّ واوثقا يديَّ ورجليَّ فافقداني الحراك ولكنهما لم يستطيعا تقييد لساني . فقلت لهُ تبًّا لك من نذلٍ لئيم وانني لأودّ لو كنت طليقاً وحسامي بيدي لاريك كيف تكون الرجال واجازيك على قتلك بعض رجالي . ولكن اعلم يا هذا انك ولو اختفيت في هذا المكمن المنيع كالجرذ في وكرهِ فلا بد من يوم تصل فيهِ اليك ذراع امبراطورنا فيطهر هذه البقعة من شرّك وشرّ عصابتك الدنيئة . فلم يؤثر فيهِ كلامي كانهُ لم يسمعهُ لانهُ اخذ القلم وعاد الى التفكر كانهُ ينظم شيئاً جديداً . وسآءني عدم اكتراثهِ فقلت لهُ أَجَلْ ولو أُتيح لي ان ابارزك لاعلمتك انك اسقط منزلةً من هذه الابيات السفيهة التافهة التي تنظمها . فلما سمع تعريضي بنظمهِ ظهرت على وجههِ امارات الغيظ فوثب عن كرسيهِ كمن لدغتهُ افعى وقال كفى يا كولونيل قد قلت لي انك لا تعبأ بالمخاطر فاستعدّ لميتةٍ ترتعد لها فرائصك وتعلمك كيف يكون الخوف . قلت حبذا الموت بشرط ان لا تدونهُ في كتابك نظماً . وكان قد اشار الى حارسيَّ فجذباني الى خارج المغارة وسارا بي الى حيث يعسكر رفاقهما فالقياني بجانب جذع شجرة وجلسا بالقرب مني يدخنان . وكانت الظلمة حالكة وقد اوقد كثيرون منهم ناراً في جهات مختلفة لطبخ طعامهم فكان منظر النار وما حولها من الرجال والاشجار مما يرتاح اليهِ اعظم مصور فنسيت ما انا فيهِ وجعلت اسرح الطرف في تلك البقعة . ثم انتبهت الى نفسي فوجدت ان جميع المخاطر التي نجوت منها ليست شيئاً بالنسبة الى ما كنت فيهِ في تلك الساعة فقلت تشجع يا جيرار فانك لم تصر كولونيلاً لمجرد ظرفك وحسن هيئتك بل لانك تعرف ان تحتقر الخوف ولا تعبأ بالخطر . واذ ذاك جعلت اجول بنظري لعلي ارى منفذاً او واسطة اتمكن بها من النجاة واذا بمشهد ملأني رعباً واستغراباً فانني رأيت على مقربةٍ مني شجرة

طويلة محنية حتى كادت تبلغ الارض ورأيت في احد اغصانها حذآءً عسكريًّا مثبتاً بالمسامير وفي الحذآء بقية ساقي ڤيدال الذي كنت قد وجدت جوادهُ كما اسلفت ورأيت على الارض بقية النار الخامدة فعلمت انهم اماتوهُ حرقاً ووددت ان يكون قد قابل حمامهُ بالشجاعة المعهودة في الدم الفرنسوي . ثم رجعت الى نفسي وتذكرت ما قلتهُ للرئيس فندمت على عدم تلطفي معهُ في الكلام غير ان السيف قد سبق العذل وقضي عليَّ ان اتجرع الكأس التي سكبتها بيدي واحببت ان يكون بالقرب منا من يشاهد موتي ويخبر فرقتي كيف لقي كولونيلهم حتفهُ بالشجاعة الفرنسوية

ولما كان من واجبات الانسان ان لا ييأس بقيت أعلل نفسي بالنجاة وذكرت جواد ڤيدال فقلت لو تمكنت من حلّ قيود رجليَّ لوثبت الى صهوتهِ واندفعت بحيث لا يستطيعون اللحاق بي . وبينما أنا عرضة لهذه التأملات وقد أخذت أعالج قيودي رأيت الرئيس قد خرج من مغارتهِ فاقترب من الرجال وكلمهم همساً فحنوا رؤوسهم علامة الطاعة وهم ينظرون اليَّ . وأسرع احدهم فتسلق شجرة طويلة وربط في أعلاها حبلاً ثم فعل مثل ذلك في شجرة مقابلة ولما انتهى اسرع الجميع الى الحبل الواحد فشدوهُ حتى انحنت الشجرة بنصف دائرة وربطوا طرف الحبل بشجرة أخرى بين الاثنتين ثم حنوا الشجرة الثانية وربطوها كالاولى وأنا أعجب من فعلهم ولا أدري المراد من ذلك الى ان اقترب الرئيس مني وقال قد أخبرتنا انك قويّ يا حضرة الكولونيل جيرار . قلت لا أسهل من اعطآئك البرهان على ذلك اذا فككت قيودي وارجعت لي حسامي . قال كلا بل عندنا برهان أفضل نمتحن بهِ قوتك فسنربط ساقك الواحدة باحد هذين الحبلين والساق الاخرى بالحبل الثاني ثم نتركهما لتعود الشجرتان الى اصلهما فاما أن تكون اقوى منهما فتبقيهما محنيتين أو ان تكونا أقوى منك فتقسمانك قطعتين. ثم اتبع كلامهُ بضحكٍ عالٍ شاركهُ فيهِ جميع الرجال وقد تألبوا حولي فرأيت وجوههم الجهنمية وشعرت بقشعريرة استولت على جسمي واقترب بعضهم ففك قيد رجليَّ وأُخذت الى محل الاعدام . ولا اظنكم جربتم حالةً مثلِ هذه يداهمكم فيها الخطر الشديد فان حواس الانسان

تتنبه تنبهاً شديداً جدًّا و بذلك امكنني سماع وقع حوافر جياد وقعقعة سيوف على مسافةٍ منا فعلمت أن فرقةً من الفرسان تمر في تلك الناحية وتخيل لي انها بعض فرسان فرقتي آتين لانقاذ كولونيلهم فصحت بأعلى صوتي اليَّ يا أولادي الاعزآء اليَّ اليَّ . وسمع اللصوص مني ذلك فهجموا عليَّ ليسكتوني فكنت ازداد صراخاً حتى برز بالقرب منا فارس ثم تبعهُ اربعة آخرون عرفتهم للحال انهم من فرسان الانكليز وقرأت في وجوههم البسالة وعزة النفس ولا سيما أولهم وهو في مقتبل الشباب فقال باللغة الفرنسوية من الذي يستغيث . اما أنا فملأني الفرح أملاً والامل قوةً فدفعت الرجلين اللذين على جانبيَّ ووثبت وثبتين الاولى الى حيث كان حسامي ملقًى على الارض فالتقطتهُ والثانية الى ظهر جواد ڤيدال وفعلت ذلك بمنتهى السرعة والرشاقة . ثم اقتربت من الفرسان وقلت لرئيسهم بالانكليزية انني استسلم لكم يا سيدي وارجو منكم مساعدتي للخلاص من هؤلآء القتلة . ثم أشرت الى حيث لايزال هيكل ڤيدال المحرَق وقلت اذا كنتم في شك من اعمالهم فها كم شاهداً على ما يصنعونهُ بكرام الناس الذين يسوقهم نكد الطالع الى المرور بقربهم . فصاح الفرسان صياح الحنق واستلوا سيوفهم متهددين اللصوص واقترب ضابطهم مني فضرب كتفي بيدهِ وقال دافع عن نفسك يا هذا . ولم اكن احتاج الى مثل هذا التحريض بعد ان شعرت بظهر الجواد بين ساقيَّ وحسامي في يدي فرفعتهُ فوق راسي وجعلت أصيح صياح الفرح . أما رئيس اللصوص فاقترب بتبسم من الضابط وقال لهُ لا يغرب عنك يا سيدي الضابط ان هذا الفرنسوي اسيرنا . فقال الضابط هذا كلامٌ لا اسمعهُ فانكم قومٌ اوغاد سفلة وأعدّ من العار على الامة الانكليزية أن تحالف دولة فيها مثلكم . فقال اللص هذا بحثٌ آخر واما الآن فانني اطلب منك اسيري . فقال الضابط كلا بل هو سيعود معنا . ولما سمع اللص ذلك رفع غدارتهُ فأطلقها في وجهي فمرت رصاصتها في قبعتي بجانب شعري فلم اطق صبراً واقتربت منهُ فضربتهُ بسيفي على كتفهِ فكادت الضربة تفصل رأسهُ عن جسدهِ لو لم يكن بعيداً عني قليلاً غير انهُ سقط الى الارض يختبط بدمهِ . ولما رأى رفاقهُ ما كان هجموا علينا

هجمة واحدة فأمرنا الضابط بالهرب وكدت أعصيهِ لو لم أرَ عدم نفع المقاومة بعددنا القليل فاطلقنا لجيادنا الاعنة وكانت رصاصات اللصوص وحرابهم تسوقنا حتى ابتعدنا الى السهل الواسع . ولما تحققنا اننا قد نجونا من شرهم وقفنا للاستراحة وكان بعضنا قد أصيب بجراح خفيفة فأمر الضابط ثلاثة من رجالهِ ان ينفصلوا عنا و يسيروا في جهة أخرى للاستكشاف ثم سار بجانبي وعلى بعد بعض خطوات ورآءنا الجندي الباقي من رجالهِ . وكانت قد تمكنت عرى المحبة بيني و بين الضابط من اول نظرة رأيتهُ كما هو شأن الفرسان الاقوياء الذين يميل بعضهم الى بعض فجعلنا نتحادث وعلمت انهُ من اشراف الانكليز انخرط في الخدمة وانهُ مرسل من قبل الجنرال ولنتون للاستكشاف والاستطلاع على الجيش الفرنسوي وكان يدعى البارون السير رَسِل . وجعلنا نسير في نور القمر فظهر لي من حديثهِ انهُ مثلي يسعى ورآء الشهرة وخدمة الدولة . ثم اتصل حديثنا بالغرام فجعل يريني تذكارات محبتهِ من خصل شعر وخواتم وأريهِ مثلها من شرائط حريرية ومناديل . ثم انتقل الى ذكر الالعاب والمراهنة فوجدتهُ مشغوفاً بالمقامرة فلم يعد يكلمني كلمة الاّ ويقول لي هل تراهن على ذلك . فافهمتهُ ان كيس نقودي لا يزال في أيدي اللصوص فأظهر علامة الضجر وسكت . ولبثنا متابعين السير الى أن بزغ نور النهار فوجدت ان الجندي الذي كان يتبعنا قد سبقناهُ جدًّا بحيث لم نعد نراهُ وبقينا وحدنا . ثم رأيت على بعد نحو ميل امامنا المعسكر الانكليزي فوقفت هنيهةً افكر فيما أصنعهُ وهل من الواجب ان أصل الى ذلك المعسكر . ورأى توقفي فقال ما بالك ايها الصديق . قلت أظنني اكتفيت من مرافقتك فدعني أسير في سبيلي . قال وهل نسيت انك اسيري ويجب أن تصل معي الى معسكرنا . قلت لم اكن اسيرك قط ولم أعدك بالذهاب الى معسكرك وهانحن وحدناهنا فكماتعتبرني اسيرك اعتبرك اسيري ومع ذلك فانا اطلق لك الحرية ان تذهب حيث شئت بشرط ان تطلق لي حريتي . فلم يكن جوابهُ الا ان استل حسامهُ وهجم عليَّ قائلاً لا ادعك تذهب حيًّا . فاخذت حسامي بيدي ضاحكاً وقلت لهُ ان شئت التجربة فلا بأس ولكنني انصح لك ان لا تجرب نفسك مع

بطل كتائب الفرسان الفرنسوية . فلم يعبأ بكلامي بل ضربني ضربةً استقبلتها بقفا سيفي ثم ضربتهُ مداعباً ففطعت الريشة التي على خوذتهِ. فسآءهُ ذلك وهجم عليَّ مصوّباً ضربةً اشدّ فرددتها عني وقطعت لهُ زرَّين من صدرهِ . فادرك انني اداعبهُ كما تداعب المرضع ولدها فكفَّ وقال قد عرفتك يا هذا ولكن لا بد من ذهابك معي الى المعسكر. قلت هذا مستحيل . قال وانا اراهنك انهُ غير مستحيل . وللحال خطر لي فكر الرهان فقلت لهُ تعالَ اذاً وليحكم بيننا الزهر فتقامر على ان اكون اسيرك او اكون حرًّا . قال حسنٌ جدًّا فهل معك زهر قلت لا. قال ولا انا غير ان في جيبي دستة من ورق اللعب فهلمَّ نلعب بالايكرتيه والذي يغلب الثالثة يكون مطلق التصرف . قلت لا افضل من ذلك وكنت قد استبشرت بالفوز عليهِ لانهُ لم يكن في فرنسا من يقدر ان يغلبني في هذه اللعبة

ووجدنا صخراً مسطحاً فربطنا جيادنا الى جانبهِ وجلسنا فابتدأنا في اللعب وأغراهُ شيطان المقامرة فود ان يزيد مئة قطعة ذهبية الى رهاننا . اما انا فلم يعد يهمني شيء من غنى العالم لانني كنت العب وامامي سلامة الكولونيل جيرار وسلامة والدتي وفرقتي والجيش وناي ومسينا والامبراطور وقد تصورتهم جميعاً حولي . فلما انتهى الدور الاول كنت انا الغالب ولا انكر ان البخت ساعدني اما الدور الثاني فكان هو الرابح فيهِ فصاح انني اراهنك على جوادي ايضاً قلت وجوادي بازآئهِ. قال وسيفي قلت وسيفي ايضاً . قال وكل ما عليَّ قلت وما عليَّ كذلك . وكان قد نفث في صدري ابليس القمار مثلهُ حتى لقد كنت قامرت على فرقة الهوسار بازآء فرقة فرسانهِ لو كانت الفرقتان تحت تصرفنا

وابتدأنا بالدور الثالث فكنت اود ان اكون على مرأى من جمهور عظيم ليروا كيف كنت العب بمنتهى الدُربة والاحتراس وانا اظهر عدم المبالاة . فربحت في اول وهلة ثلاثة بنوط ورأيتهُ يعضّ شاربيهِ فايقنت انني سأبلغ فرقتي سالماً . وفي الدورة الثانية اخذ بنطين واخذت واحداً فصار هناك اربعة لاثنين . ولما اخذنا ورق الدورة الثالثة لم املك ان صحت صياح الفرح وقلت في نفسي ان انا لم اربح الآن فلا

استحق الحرية ويجب ان اموت مقيداً بالسلاسل . وكان عليهِ ان يبدأ باللعب فاذا استطعت ان ارمي ورقاً اقوى منهُ تحققت فوزي . ورأيت العرق يتصبب من جبهتهِ ولا انكر ان يدي ايضاً كانت ترتعش . ولم اصدق ان رمى ورقة فكان بيدي اقوى منها ففتحت فمي لاعلن لهُ فوزي ولكنني شعرت بجمود عند ما رأيتهُ اخذ ورقهُ بيد واحدة وقد سقط فكهُ الاسفل وظهرت على وجههِ علامات الرعب الشديد وقد شخصت عيناهُ الى ورآئي . فالتفتُّ واذا ثلاثة فرسان من ضباط الجيش الانكليزي وورآءهم ثلاثة فرسان آخرين من اتباعهم وكان احدهم في الوسط طويل القامة رقيق الجسم ملتفًّا بردآءٍ اسود وعلى رأسهِ ريشة بيضآء وهو شاحب الوجه اقنى الانف وعيونهُ زرقآء وعلى شفتيهِ شبه تبسم مخيف يعلم الناظر اليهِ لاول وهلة انهُ من الرجال الذين ولدوا للقيادة فعرفتهُ للحال انهُ الجنرال ولنتون . وكان محدّقاً ببصرهِ الى رفيقي السير رسل الذي كانت اوراق اللعب تتساقط من يدهِ واحدة واحدة . ثم قال ولنتون لاحد رفيقيهِ ما رأيك في هذا يا كروفورد . وقبل ان يجيبهُ نهض رفيقي وقد حنى رأسهُ فقص حكايتهُ من اولها ولما انتهى قال ولنتون انني اهنئك يا كروفورد على هذا النظام البديع . ثم نظر الى رسل وقال اما انت فاذهب الى المعسكر واجعل نفسك سجيناً الى ان تبلغك اوامري . ولم اطق لرفيقي مثل هذه الاهانة فنهضت وتوسلت الى الجنرال ان يعفو عنهُ واخبرتهُ بما كان وما اظهرهُ رسل من البسالة فلم يكن جوابهُ الا ان نظر الى الجنود بمنتهى البرودة وقال لهم وقد اشار اليَّ احفظوا هذا الاسير وقدموهُ اليَّ في المعسكر . فلما سمعت ذلك كدت افقد رشدي لانني كنت اعتبر نفسي حرًّا وقد اشتريت حريتي من الضابط بلعب الورق فوثبت الى امام الجنرال والورق بيدي وقلت لهُ انظر يا مولاي انني قد راهنت على حريتي وقد ربحت كما ترى . فتبسم وقال كلا بل انا الرابح لانك انت في يدي . واذ ذاك ساقوني الى المعسكر فلبثت اسيراً في ايديهم الى ان تيسرت لي اسباب النجاة مما سأقصّهُ عليكم في حديث آخر